

أوصاف يثرب أى أوصاف قلعة المدينة المنورة

كانت يثرب مدينة صغيرة فى بداية عهدنا ، وبعد أن هاجر إليها الرسول الكريم من مكة ، عُمِرَتْ عمراناً عظيماً . ومن أهم ما يسجله تاريخها ، أنه عندما حاول الكفار الإستيلاء على قبر الرسول لهدمه ، هب نور الدين شهيد من الشام ، ووصلها فى تسعة أيام ، وخلص المدينة من أيدي الأعداء ، وبنى حولها قلعة . ولكنها خربت خلال تعاقب الأزمان ، حتى رأى السلطان سليمان (١) الرسول الكريم فى منامه ، فخاطبه النبي ﷺ قائلاً : « يا سليمان إفتح بلجراد وبودين ورودس وشيد قلعة حول القدس الشريف التى بها مقام الإمام الأعظم ، وأخرى حول مدينتى يثرب » . فقام السلطان سليمان القانونى بفتح هذه المدن ، وشيد القلاع .

(١) السلطان سليمان القانونى : ١٤٩٥ - ١٥٦٦م = ٩٠٠ - ٩٧٤هـ . عند وفاة والده السلطان سليم الأول ، كان الأمير سليمان والياً على مغنيسيا = ما ينصه . تولى السلطنة ولم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره بعد . وكان عليه أن يتابع انتصارات والده ، ففتح بلجراد ، ورودس والمجر ، وحاصر فينا ، ولولا خيانة زوجته اليهودية روكسلانه = خرم سلطان ، وصدرة الأعظم إبراهيم باشا لتحولت النمسا إلى ولاية عثمانية . لُقّب بالقانونى لكثرة القوانين التى أصدرها لتنظيم حياة الإمبراطورية العثمانية .

حوّل البحر الأبيض المتوسط ، والبحر الأحمر ، والبحر الأسود وبحر مرمرة إلى بحيرات إسلامية لم تكن الاساطيل الأجنبية تستطيع دخولها بدون اذن سابق ، وقد اعتمد فى ذلك على الأمير الجزائرى خير الدين بارباروس الذى عينه قائداً للأسطول العثمانى .

لم يغفل السلطان سليمان القانونى عن إنشاء الصروح المعمارية ؛ من جوامع ، وكليات الصحن ثمان ، ودور الحديث ، والخور ، والحانات ، والحمامات ، والاستراحات فى شتى ربوع الإمبراطورية .

كان للمدن الإسلامية المقدسة الثلاث ؛ مكة ، والمدينة والقدس مكانة خاصة فى نفس القانونى ، فأوقف عليها الكثير من الأوقاف الخيرية ، وولى عليها خيرة قواده ، ما كفل لها تطوراً معمارياً وحضارياً ، ما زالت ماثلة للعيان حتى اليوم ؛ فجدد الحرمين الشريفين ، والمسجد الأقصى ، وأمن قوافل الحج المؤدية إليها ، وأقام الخافر والحصون والقلاع ، والأبار ، والمطاعم على طرق القوافل لخدمة الحجيج . سليمان القانونى [٩٠٠ - ٩٧٤هـ = ١٤٩٥ - ١٥٦٦م] أعظم سلاطين بنى عثمان . ابن سليم الأول . اعتلى العرش سنة ٩٢٦هـ لُقّب بالقانونى لعدله وكثرة القوانين التى سنّها ، وصلت الدولة العثمانية فى عهده أقصى اتساعها . لقبه الأوروبيون بالعظيم "Magnifique" وصلت فتوحاته إلى المجر ، سنة ٩٣٦هـ ، وحاصر فينا غرباً . وسّع فتوحاته فى آسيا فضم إيران وبغداد وآذربيجان ووصل البصرة سنة ٩٤١هـ = ١٥٣٤م . حول البحر الأبيض والأحمر إلى بحيرات عثمانية تحت قيادة خير الدين بارباروس . له عمارات فى كل العالم الإسلامى . مدة سلطنة ٤٨ سنة . المترجم

أشكال قلعة المدينة:

كانت مولوية^(١) المدينة حسب القانون القديم مولوية «قضاء» مخصصاتها خمسمائة آقجه ، ولكن لُبُعدها ، وعدم خصوبة أرضها ، فقد أصابها الإهمال ، حتى كان عهد السلطان محمد الرابع ، فأصدر قانوناً نص فيه على ما يلي :

«إنه بدون قضاء مكة والمدينة فلن يكون هناك قاض لإستانبول» وبذلك إرتبطت مكة والمدينة في بادئ الأمر بقاضى ، أو ، مولوية إستانبول :

آهالى المدينة يتصفون بالحلم ، ولين الجانب ، والمسالمة . ولقد تم تخصيص ألف قطعة ذهبية لكل من ، شيخ الإسلام ، ومشايخ الحرم ، والمعلمين ، من الصرة . كما خُصص لكل طائفة ، مائتين أروب قمح ، من الظهيره ، التى كانت تأتى من مصر . يُسيطر شيخ الحرم على الأمن فى المنطقة بالجند الذين تحت إمرته ، والذين يبلغ

(١) مولوية المدينة : قضاء المدينة = «مولويت» مصطلح علمى يُطلق على الطرق العلمية المتعلقة بالقضاء . وكانت المولوية هى طريق كبار المدرسين .. وتم الأخذ بهذا النظام بعد عهد السلطان سليمان القانونى ، فقد كانت المراتب ، والدرجات العلمية مختلفة قبل عهده .. وقد وجد أنه من الضرورى إحداث تغييرات فى الدرجات العلمية وخاصة لسد احتياجات الكليات التى أنشأها . وإن كانت الأوقاف ، «وقانون نامه» ، السلطان محمد الفاتح تُبين أن المولوية كانت موجودة كدرجة علمية ، يرقى صاحبها لشغل القضاء .

كانت رتبة أو درجة المولوية تُمنح لكبار المدرسين وظل هذا الأمر معمول به بعد عهد سليمان القانونى ، وكان من ينال هذه الدرجة العلمية يتوجه إلي حيث المكان المحدد له ، ويتولى القضاء فيه .

ولكن هذه الرتبة العلمية أصابها الفساد بسبب النظام الذى وضعه شيخ الإسلام [فيض الله أفندى] فى عهد السلطان مصطفى الثانى ، والذى كان يجيز توجيه هذه الدرجة العلمية إلى الأصلاء = «زاده . كانه» .

كانت المولوية فى حينها خدمة تنفيذية ، بمعنى على مَنْ يتولدها التوجه إلي حيث مكانها ، ويبدأ فى ممارسة مهامها على الفور ، ورويداً .. رويداً بدأ فى الاستغناء عن هذا النظام ، وأن يتولى النواب القيام بهذه المهام .

كانت المولوية ثلاث درجات ؛ ١- مولويات المخرج . ب- مولويات البلاد الخمس . ج- مولوية الحرمين الشريفين ؛ وكان يُطلق على مولوية المخرج ، مولوية البلاد العشرة أيضاً ؛ وكانت هذه البلاد هى ؛ ازمير ، سلانليك بنى شهير ، فخر، خانيا ، القدس الشريف ، حلب ، طرابزون ، صوفيا ، غلطة ، أبوب وملحقاتها .

أما مولوية البلاد الخمسة ؛ مصر ، الشام ، بورصة أدرنه ، فلبيه ، أما مولوية الحرمين ، فكانت عبارة عن قضاء مكة والمدينة .

وكانت مولويات المخرج يُعين فيها كبار المدرسين ، وهناك صلاحية ترقية عشرة أفراد سنوياً لهذه الدرجة .. وبعد أن ينال مرتبتها ومخصصاتها ، ويظل بها المدة المعتادة . يبدأ فى ممارسة مهام مولوية البلاد الخمس لمدة بدون مقابل ، ويكون ملازماً للقاضى بها قاضياً وبعد اتمام المدة المقررة يُصبح مولوياً فى إحدى المولويات الخمس . وبعد قضاء مدته بها ، يعمل ملازماً بدون مقابل لفترة ما لقاضى مولوية الحرمين ، وبعدها يُصبح قاضياً فى مولوية الحرمين ، وأحياناً ؛ كان يتم الفصل بين مولوية المدينة ، ومولوية مكة .

كانت المدة المعتادة فى كل مولوية هى مدة سنة واحدة . «المرجم»

عدددهم خمسمائة جندي ، والأقضية التابعة للمدينة ومرتبطة بها إدارياً هي :
ينبع البحر ، ينبع البر ، الحديدية ، وصفرا ، ودار القرا ، وفدك ، وديار خيبر .
يقدمون للقضاة في هذه الاقضية فاتحة وثلاثة مكايل من التمر ، بدلاً من البدل
النقدي للحجة .

وبالقلعة ثمانين مدفعاً ، وسجنًا ، ومهترًا^(١) ، وجنود محاصرة ، ومحافظًا .
وأبعاد القلعة كالتالي :

الجنوب به باب مصر ، وعلى جانبيه برجين عظيمين ؛ وفوق العتبة العليا للباب
كتبت العبارة التالية : «إنه من سليمان وأنه بإسم الله الرحمن الرحيم» . وعلى بعد
ثلاثمائة خطوة ناحية الشمال ، يوجد باب الحاج ، أى باب القبلة . وعلى مسافة
مائتين خطوة من هذا الموقع ، ونحو الشمال يتجه «المطلع» ، المرتفع ، إلى أعلا
نحوالشمال . والمسافة من هذا الموقع ، حتى البرج الداخلي ، للقلعة ، مسافة
أربعمائة خطوة . وجدار القلعة في هذا الموقع عريض ، وقوى جداً وناحية الشرق من
هذا الموضع ، وعلى بُعد مائتين خطوة ، من هذا المرتفع ، يقع «باب الشام» . ومنه ،
وحتى برج الشريف ، ألف خطوة ، ومنه حتى «باب البقيع» ثلاثمائة خطوة . وبعد
مائة خطوة من باب البقيع ينتهي الجانب الجنوبي للقلعة .

والإتجاه الغربى يبلغ ألف ومائتين خطوه ، من الموضع السابق ، وحتى «باب
مصر» ، وعلى هذا الأساس ؛ فإن محيط القلعة ؛ ٣٣٥٠ خطوة وسمك الجدران ستة
أذرع ، وإرتفاعها عشرون ذراعاً ، وداخل القلعة ألفين منزلاً عامراً . أما المباني

(١) مهترٌ : إصطلاح موسيقى يعنى الموسيقىار الذى يقوم بعزف النوبة أمام باب أحد رجالات الدولة العظام أو القواد
الكبار . وتُجمع على مهتران أى مجموعة الموسيقيين الذين يعزفون السلام الوطنى أو السلطانى أو النوبات المختلفة فى
الجيش . وكانوا يقومون بالعزف على الطبل ، والزر ، ويطوفون الأحياء تبشيراً بسير الغملى إلى الحجاز . ويجمعون
الهباء والتبرعات لهذا الغرض .

ومنهم «مهتران علم» أى الفرقة الموسيقية المنوط بها عزف سلام العلم ، أو السلام الوطنى فى وقت الحرب . و«مهتران
طبل وعلم» وهى الفرقة الموسيقية المكلفة بعزف الموسيقى فى القصر السلطانى ، وفى حضرة السلطان وقائدها يسمى
«مهترباشى» . أما الفرقة الخاصة بالسلطان فكانت تسمى «مهترخانة خاقانى» أو «مهترخانة همايون» ويقول هامر
جدا ص ٣١٣ إنها فرقة الشرف التى تعزف أمام الوزراء ، والقواد وقت الحرب ، وتُدكرهم بظبولها باوقات الصلاة أيضاً
عند الجهاد . ويبين أدوات المهترخانة كالتالى : ١٦ زورنا ، ١٦ طبل ، ١١ مزمار ، ٨ نقارة ٧ أجراس = «صاجات» و
٤ أوستان . وكان عددهم ٧٢ فرداً أما إذا إشتراك السلطان بنفسه فى الحرب فيتضاعف هذا العدد . وقد ألغى نظام
المهترخانة مع الغاء معسكرات الإنكشارية سنة ١٨٢٦ م = ١٢٤١ هـ واستبدل به نظام موسيقات الباندو . «المرجم»

الأخرى ، فأكثرها خانات ، ومدارس . وجوامع ، وأسبلة ، وتكايا ، وكتاتيب ، وداراً للحديث ، وداراً للقراء . ولا يوجد داخل القلعة مساجد ، أو جوامع ، ولكن بالقرب منها . وهناك خارج الأسوار ؛ توجد هذه المنشآت الدينية السالفة الذكر . وتوجد حدائق فى سبعة منازل فقط . والمدينة المنورة عبارة عن خمسة أحياء فقط .

ويوجد بالقلعة الداخلية محراب واحد ، وعدة عُنابر «مخازن» وبها مخزن للذخيرة «جنجانه» ، وما بين سبعين ، أو ثمانين منزلاً صغيراً ، ومسجدها بديع الصنع ، وهو من مآثر السلطان سليمان ، وتشييده . وتقام الجماعة وتقرأ الخطبة ، فى الجامع الكبير فقط .

جامع الروضة المطهرة:

إن القبر الشريف ، للرسول الكريم ﷺ ، يقع فى داخل هذا الجامع ، ولما كانت صلاة الجمعة ، لا تُقام فى أى مسجد آخر بالمدينة ؛ فلذلك يحضر الصلاة فى هذا الجامع حشد كبير من المصلين . ولقد إهتم الحكام على مدى التاريخ بهذا الجامع ، اهتماماً بالغاً ، من الناحية المعمارية ، والفنية ، وزينوه بالنقوش ، والفنون ، والمجوهرات حتى غدى كالجنة .

ولما هاجر النبى الأبى من مكة إلى المدينة ، وعندما تساءل فيما بينه وبين نفسه الأبية «ياترى أين سنضاف؟» . فأمسك جبريل الأمين بوهاق ناقته (ﷺ) ، وبينما كانت وجهتهما نحو بيت أبى أيوب الأنصارى ألهم الله سبحانه وتعالى أباً أيوب ، فخرج من المدينة لإستقبال النبى المصطفى والترحيب بمقدمه السعيد ، وكان ذلك عند جامع قباء ، فأمسك بوهاق الناقة وتوجه بها نحو بيته . وكان النبى ﷺ ، قد هاجر وفى صحبته عدد كبير من الصحابة المهاجرين الذين لم تحضر معهم زوجاتهم ، بل طلقوا معظمهن . وكان الأنصار الذين يقطنون المدينة قد قاموا هم أيضاً بتطبيق زوجاتهم اللائى يزدن عن واحدة ليزوجوهن للمهاجرين .

هكذا حوّل أبو أيوب الأنصارى المهاجرين ، إلى أصحاب منازل ، وعقار ، وعيال ، ثم تنازل أبو أيوب نفسه عن منزله للرسول عليه الصلاة والسلام . ثم أمر المصطفى ببناء مسجد لطيف ، بجوار هذا البيت المُشرف . وهذا المسجد ما هو

إلا جامع الروضة المطهرة الحالى . وعندما صعدت روحه (ﷺ) الطاهرة ، إلى الرفيق الأعلى ، دُفن جسده الطاهر فى هذا البيت الشريف .

وفى تلك الليلة المشهورة رأى الصحابة الميامين جميعاً الرسول الأكرم فى منامهم ، وقد خاطبهم جميعاً متفضلاً :

[يا أمتى ... إن كنتم تُريدون شفاعتى .. فإننى لست فى حاجة إلى الذهب ، والفضة ، أو القباب المجوهرة .. وإن كنتم تريدون رضائى فوسّعوا ، وسوروا - (أقيموا الأسوار) حولى لتحافظوا علىّ ، من المشركين والمنكرين] ولذلك ، فقد صرف الصحابة الميامين النظر عن تزيين مقام الرسول بالذهب واللؤلؤ ، والجواهر ، وصرفوا همهم فى توسيع المقام الطاهر ؛ حيث حوّل سيدنا عثمان رضي الله عنه هذا المسجد الشريف إلى جامع فسيح ، وأقام جداراً للقبلة ، ثم أعقبه سيدنا على كرم الله وجهه فزاد فى اتساعه ^(١) ثم الوليد الأموى ^(٢) ؛ ومن سلاطين مصر : قايتباى ^(٣) والغورى ^(٤) ، ومن آل عثمان : سليمان القانونى ، ومراد

(١) توسيعات الحرم النبوى : سوف نتناول هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب حرّاة المدينة المنورة .

(٢) الوليد الأموى : هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وهو سادس الخلفاء الأمويين ، وثالث آل مروان ، ولد سنة ٤٨ هـ = ٦٦٨ م ، وخلف والده فى الحكم سنة ٨٦ هـ = ٧٠٥ م ، واتخذ من الشام مركزاً للخلافة ، فُتحت فى عهده الكثير من البلدان من الأندلس والبرتغال حتى التركستان . جدد المسجد النبوى ، والمسجد الأقصى وقام بتوسيعهما ، ثم أقام المسجد الأموى فى دمشق . استمر فى الحكم ٩ سنوات وثمانية أشهر . ثم توفى سنة ٩٦ هـ = ٧١٤ م وخلفه أخوه سليمان . (المترجم)

(٣) قايتباى : Kayit Bay الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين المحمودى الظاهرى سلطان مصر وسوريا (٨٧٣ - ٩٠٢ هـ = ١٤٦٨ - ١٤٩٥ م) اشترى كملوك من قبل بارسباى ، وأطلق سراحه من طرف السلطان جقمق ، ثم أصبح «دوادار» ثم فى سنة ١٤٦٨ عرض عليه العرش فى مصر ، قبله بعد تردد . بعد أن استقر به الحال فى الحكم ، اشتدت المنافسة بينه وبين العثمانيين من جهة أو بين آلاق قيونليلر - الشاه البيضاء ، من جهة أخرى استقبل فى القاهرة الأمير جم منافس السلطان بايزيد على العرش وساعده على ذلك عقد مع العثمانيين صلحاً سنة ٨٩٦ هـ = ١٤٩١ م . عاش بقية حياته فى السلطة فى سلام مع جيرانه ، ويعتبر من أهم سلاطين المماليك البورجيه . وإن لم ينجح فى اقرار نظام ضريبى مستقر فى البلاد . وهذا مما جر الإمبراطوريه المصريه المملوكيه إلى الدمار والحرب . أعاد اعمار الكثير من المنشآت ، وإنشأ الجديد منها فى شتى بقاع البلاد . أقام القلاع والحصون ، وجدد المسجد النبوى فى المدينة المنورة ، بالرغم من تولية السلطان وعمره بناهز الستين ، إلا أنه قضى السنوات الأولى من سلطنته فى نشاط ودأب مستمر ، حج البيت الحرام ، وكان يقوم بالتفتيش بنفسه على مناطق دجله والفرات ، ونجح فى اخضاع القبائل العربيه فى الدلتا ، وحماه وحمص . كان حاكماً مثالياً بالنسبة لكتاب الوقائع ، وإن كان يتسم بالشده والغلظة . (المترجم)

(٤) الغورى : Konsu, Kansuk Al-Gauri هو الملك الأشرف سيف الدين بن بايارى الغورى (١٤٤٠ - ١٥١٦ م) جاء الى مصر ضمن المماليك الذين جاءوا من منطقة عور فى افغانستان . ظل الى سن الأربعين والياً على ولاية =

الثالث^(١) وأحمد الثالث^(٢) حيث قام كل منهم بتشييد أثراً جديداً ، أو إضافة فريدة حتى تحول الحرم الشريف إلى روضة من رياض الجنة .

وأطراف الجامع النبوي الشريف ألف خطوة . وداخل الحرم ، ومن عند قدمي الرسول المباركتين ، ومن باب جبريل الأمين ، وصُفَّة شيخ الحرم ، حتى تعبر باب الشفاء ، من الناحية الداخلية للحرم مخازن الزيت ، تبلغ المسافة سبعون خطوة . ومن هذا الموقع ، حتى أزيار المياه ؛ مائة وخمسون خطوة . ومن نفس الموقع ، وحتى باب الرحمة ، وباب السلام ؛ مائة وسبعون خطوة . وهكذا فإن المسطح الداخلي للجامع ستمائة وتسعون خطوة . وقد فرشت أرضيه الحرم الشريف كلها بالأحجار الكريمة الصغيرة . ومحيط الحرم ستمائة خطوة . وفي وسط الحرم تماماً ؛ توجد قبة ،

= البحيرة . وتولى منصب حاجب الحجاب في حلب سنة ٨٩٣ هـ = ١٤٨٨ م وفي عصر السلطان جانبولاط تولى نيابة النواب سنة ٩٠٣ هـ = ١٤٩٧ م عينه طومانباي الأول سنة ٩٠٦ هـ = ١٥٠٠ م دواً كبيراً . اختاره المماليك سلطاناً ، وقد تجاوز الستين من عمره . لم تكن الأوضاع الاقتصادية في بدايه حكمه مستقره ، اشتط في جمع الضرائب للصراف منها على القلاع التي أنشأها في حلب والحجاز ، وشق القنوات ، وحفر الآبار . (المترجم)

(٢) مراد الثالث : [٩٥٣ هـ - ١٠٠٣ م = ١٥٤٦ - ١٥٩٤ م]

السلطان مراد الثالث هو من السلاطين العثمانيين العظام ، هو ابن سليم الثاني ، جده سليمان بن سليم الأول . ولد سنة ٩٥٣ هـ . عند وفاة والده ٩٨٢ هـ = ١٥٧٤ م وصل إلى العاصمة ، وجلس على عرش السلطنة وهو في التاسعة والعشرين من عمره ، أبقى على صقورللي محمد باشا في منصب الصدارة ، فتح في عصره العديد من المدن في البلقان ، كما ضم العديد من المدن في آسيا إلى حوزة الدولة العثمانية - استمر في الحكم ٢١ سنة ، وتوفي وهو في الخمسين من عمره .

كان محباً للعلماء ، والشعراء ، كما كان يفرض الشعر ، وتخلص في اشعاره « مرادي » ، تعهد العديد من الشعراء ، وكان حليماً ، مسالماً ، محباً للذوق وصفاء الحياة . خيراته ، وعطاياه كانت كثيرة . خصص الكثير من الأموال لتوسعة ، وترميم ، وتجديد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، كما أجرى إليهما المياه الوفيرة .. أنظر : قاموس الاعلام ج ٦ . المترجم

(٣) أحمد الثالث : [١٠٨٣ - ١١٤٩ هـ = ١٦٧٢ - ١٧٢٦ م]

إبن السلطان محمد الرابع العثماني ، هو السلطان الثالث والعشرين بين السلاطين العثمانيين . ولد سنة ١٠٨٣ هـ جلس على العرش بعد أخيه مصطفى الثاني ، وظل في الحكم ٢٨ سنة ، ثم تركه سنة ١١٤٣ هـ وتوفي سنة ١١٤٩ هـ ، وتوفي عن ست وستين سنة . قضى على حركات العصيان التي تفتشت في البلاد قبيل توليه السلطة . وقد نفى ، وقتل الوزراء ، والصدور العظام الذين كانوا يساندون العصيان . في عهده لجأ شارل الثاني عشر ملك السويد إلى بلاده بسبب الحروب مع الروس مما أدى إلى دخول الحرب ضد الروس ، وقد وقع بطرس الأكبر في الأسر ، ولم تنقذه زوجته كاترينا إلا ببعض التنازلات ، والدسائس مع القائد بلطجي محمد باشا . استردت في عهده العديد من المدن التي سبق وأن فقدتها الدولة العثمانية . تنازل عن العرش بضغط من الإنكشارية لإبن عمه محمود سنة ١١٤٣ هـ = ١٧٢٠ م . جامعة في إستانبول من المعالم المهمة . [المترجم]

وتُحفظ فيها زيوت المصابيح . وأمام قبة الزيت هذه توجد نخلة محاط حولها بسور من القضبان ، وقد قام النبي الأمين ، بغرس هذه النخلة خصيصاً ، بيديه الكريمتين . وتصطف الإيوانات على جوانب الحرم ، ويزدان بثلاث مآذن ، وداخل الحرم والجامع عامة ثلاثمائة عمود من الأعمدة المختلفة الأحجام ، والأشكال ، وفوقها ثلاثمائة كمر ، وقد زينت هذه الكمرات «الأحزمة» . بالنقوش ، والزخارف المختلفة الألوان ، والتذهيبات ، وغطت القباب من نواحيها الأربع بالزجاج الملون ، الذي يملئ المكان ضياءً ، وبهاءً عندما تُشرق الشمس ، وتسطع أشعتها . وقد فرّش الحرم بالأحجار الكريمة القيّمة والتي يصعب على أي إنسان تحديد قيمتها ، أو نوعها ؛ فبعضها عقيق أخضر ، أرجواني ، وبعضها أصفر يرقاني ، = «في لون اليرقات» والبعض أصفر ، «بالجامي» = عسلي أو صوماكي = في لون السمسم . وغُطت هذه الأرضيات المزدانة ، بأفخر أنواع السجاد الذي قدمه الملوك ، والسلاطين ، والوزراء ، والأغنياء إلى الحرم النبوي الشريف مما أضفى عليه نوعاً من الروحانية العلوية ، التي تشد المرء إلى طول الإقامة به ، والتشرف بالمشول في حضرة ساكنيه في كل وقت وحين . ولولا أنني مولع بالسفر والطواف بالعالم لما برحت هذا الجامع النبوي الشريف طوال حياتي .

محفل المؤذن مقام على ثمان أعمدة ، صغيرة ، بالقرب من الروضة المطهرة ، ومحراب الإمام الأعظم ؛ صغير ، ولكنه بديع الصنع ، وعلى جانبيه شمعدانات ذهبية ، بقدر طول الرجل ، وبداخل كل منها شمعات ، طول كل منها ثمانية أشبار . وعلى الجانب الأيمن للمحراب ؛ يوجد المنبر الذي أمر السلطان مراد الثالث بصنعه ، من الفضة الخالصة ، والذي لم أر مثله في العالم الإسلامي أجمع . وعلى الجانب الأيمن من المحراب ، أيضاً ، يوجد محراب لكل من الإمام الشافعي ، والإمام المالكي ، والإمام الحنبلي ، وفي الناحية الداخلية لباب السلام ، وتحت الكمر ، توجد هذه الكتابة [هذا البناء المبارك لمولانا السلطان قايتباي عز نصره في سنة ؟] وهو باب روعة في الفن ، صنع من النحاس الأصفر المصقول . وما أن يلج الزائر من باب السلام ، إلى الداخل حتى يرى هذه الأشطر التالية ؛ والتي كُتبت بخط التعليق الجلي على لوحة من الورق الأزرق في قامة الرجل ، وقد علقت على زاوية الجانب الأيسر :

« إذا كان لقوم العرب آيين ؛ هو هذا ياسيدى وقلة هم الذين يتحررون من الإرتباط بضره ، فأنت فخر المؤمنين ، وسيد الكونين أنت فليحشرنى الله .. لأمسح الجبين بقبرك .. وألا أبرحه .. » (١) .

وعلى الزاوية اليمنى من نفس الباب نُقِشت الآية الكريمة : ﴿ يَشْرَهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢) وقد كُتبت الآية بالخط الجلى ، وامتدت حتى محراب سيدنا عثمان رضي الله عنه . ومن باب السلام حتى باب جبريل سُطرت سورة الفتح الشريف وعلى زاوية الشافعية من ناحية جدار سيدنا عثمان يوجد هذا التاريخ :

« فيض حقدن دوشدى تاريخ دعاء خير ايله دين ودعاسن معمى ايده رب العالمين [١٠٣٢] » (٣)

ولا توجد أى نوافذ فى الجدار الذى أمر ببنائه سيدنا عثمان ، ولكن هناك نافذة ، ذات إطار نحاسى ، تجاه المرقد النبوى الشريف . كما أن هناك نافذة ، أخرى ، أمام المقصورة ، المقامة عند قدمى النبى المباركتين (صلى الله عليه وسلم) .

وتقام بهذا الجامع النبوى الشريف حلقات لأرباب العلم والعرفان ، ولقد كتبت أنا العبد الحقير على لوحة بالخط الجلى :

« سيّاح عالم أوليا روحىچون فاتحه » (٤) وكتبت كذلك بالخط الجلى أمام المقصورة :

« شفاعة يارسول الله أوليايه ١٠٨٢ » (٥) . وبالجامع النبوى الشريف سبعة آلاف قنديل بالكمال والتمام .

* * *

(١) بودر آيين عرب برقومك اوله سيدى آز اولور كيم قبرى اوزره نبده آزار او لمايه سن كه فخر المؤمنينك سيد الكونينك حشر الله قبرينه يوزسوره م آزاد اولمايه .

(٢) سورة التوبة آية ٢١ .

(٣) تاريخ الدعاء بالخير منزل من فيض الحق فليجعله رب العالمين معموراً بالدين ودعائك ١٠٣٢ .

(٤) الفاتحة على روح أوليا ، رحالة العالم .

(٥) الشفاعة لأوليا يارسول الله ١٠٨٢ .